

بين يدى هذا الباب للمحقق السراى والإماء

قد تراءى لعيوننا أكثر من علامات استفهام حول السراى والإماء ! .
وربما يقول قائل : أليس فى تعدد الزوجات ما فيه الكفاية ؟ .
ويقول الأستاذ العقاد فى كتابه « المرأة فى القرآن » :
« لقد شرع الإسلام العتق ولم يشرع الرق ، فلم يكن للعتق أثر فى
شرائع الحضارات التى سبقت ظهور الإسلام .
أما الرق فقد كان معروفا معترفا به فى كل حضارة قديمة .
فلما ظهر الإسلام جاء بالعتق ولم يحىء بالرق وسبق التطور الدولى إلى
تقرير فك الأسرى عند الأعداء ، وتقرير المن بتسريح الأسرى عنده .
والنساء المملوكات أقدم فى التاريخ من الرجال المملوكين . وتعتبر قضية
الإماء والسراى جزءاً من قضية الرق على عمومها لولا أن المرأة المستعبدة تنفرد
بمشكلاتها .. فإن كان العتق برا كبيراً بالإنسان الذى سلبت حرته وهانت على
الناس كرامته فإن العتق لا يؤول بالجارية إلى حرية تغبط عليها ، وهى بلا عائل
ولا زوج وربما نقلها العتق من العبودية لسيد واحد إلى العبودية لكل سيد
تأوى إليه .
وقد نظرت شريعة الإسلام إلى الفارق بين الرجل والمرأة فى أمر العتق ،
فعملت على نقل النساء المملوكات من رابطة العبودية إلى رابطة الزوجية ،
وأمرت المسلمين بتزويجهن والبر بهن :

﴿ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾ [سورة النور : ٣٢] .

﴿ فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ﴾ [٣ : سورة النساء] .

وفضلت الزواج بالجارية المملوكة على الزواج بسليمة البيوت من المشركات ولو حسن مرآها في العين :
﴿ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ﴾ .

[سورة البقرة : ٢٢١]

وفرضت لهن حقوقا كما فرضت للأزواج :
﴿ قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم ﴾ .

[سورة الأحزاب : ٥٠]

وجعلت أصحاب المال ومن يملكونهم سواء فيما عندهم من رزق الله :
﴿ فما الذين فضلوا برأى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء ﴾ .

[سورة النحل : ٧١]

وحرص الإسلام على البر بهن في عواطفهن وإحساسهن كما حرص على البر بهن في أرزاقهن ومعيشتهن ، فكان عليه الصلاة والسلام ينهى المسلم أن يقول : « عبدى وأمتى » وإنما يقول : « فتاى وفتاى » كما يتحدث عن أبنائه . وكانت وصيته بالصلاة والرقيق من آخر وصاياه ﷺ قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى .

وارتفع الإسلام باتباعه إلى منزلة من الإنصاف للرفيق والرفق به لم تبلغها الإنسانية بآدابها وقوانينها ودساتيرها وأنظمتها بعد أكثر من ألف سنة .

ومما له دلالة في هذا الصدد أن ارتفاع المهانة عن الممالك في العالم الإسلامي مكنهم غير مرة من إقامة الدول وارتقاء المناصب وولاية الوزارة والقيادة ، ومصاهرة البيوتات من أصحاب الملك والإمارة .
وإليك ما جاء في العقد الفريد عن السرارى والإماء :

المنجبات من النساء :

أنجب النساء

- قالوا : أنجب النساء الفُروك ^(١) ؛ وذلك أن الرجل يغلبها على الشبق ، لزهدها في الرجل .
- أبو حاتم عن الأصمعي قال : النجبية التى تنزع بالولد إلى أكرم العرقين .
- وقال عمر بن الخطاب : يا بنى السائب ، إنكم قد أضويتم ، ^(٢) فانكحوا فى النزاع .
- وقالت العرب : بنات العم أصبر ، والغرائب أنجب .
- والعرب تقول : اغتربوا لا تُضنُّوا : أى انكحوا فى الغرائب ، فإن القرائب يُضنُّون البنين .
- وقالوا : إذا أردت أن يَصْلُبَ ولدُ المرأة ، فأغضبها ثم قع عليها ؛ وكذلك الفزعة ! .

(١) الفُروك : الزاهدة فى الرجال ، ولا تحبهن ، والمبغضة لهن .
(٢) الضوى : الهزال ، ودقة العظم وقلة اللحم ، وأضوى دق وأضعف والمرأة ولدت ولدا ضاويا .

وقال الشاعر :

مِمَّنْ حَمَلْنَ وَهَنَّ عَوَاقِدَ حُبِّكَ النَّطَاقَ فَشَبَّ غَيْرَ مُهَبَّلٍ
حَمَلَتْ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَزْعُودَةٍ كُرْهَا وَعَقْدَ نَطَاقِهَا لَمْ يُحْلَلِ

قالت أم تأبط شرا :

والله ما حملته ترضعا ولا وضعها ، ولا وضعته يتنا ولا أرضعته غيلا ،
ولا أنتمه مئقا (١) .

ومن أمثال العرب :

أنا مئق ، وأنت تنق ، فمتى نتفق ؟ (٢) .

إبراهيم عليه السلام وهاجر

● تسرى الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام بهاجر ، فولدت له
إسماعيل عليه السلام .

محمد عليه الصلاة والسلام ومارية ثم صفية

● وتسرى النبي عليه الصلاة والسلام مارية القبطية ، فولدت له
إبراهيم .

أبى اسحاق وجدى إبراهيم !

● ولما صارت إليه صفية بنت حُيِّ ، كان أزواجه يعبرنها باليهودية ،
فشكت ذلك إليه ، فقال لها : أما إنك لو شئت لقلت - فصدقت

(١) قال فى القاموس المحيط : وضعت المرأة حملها وُضعا ، وتُضعا بضمهما ، وتفتح الأولى ولدته . ووُضعا وتُضعا ، وتُضعا بضميتين : حملت فى آخر طهرها فى مقلب الحيضة . ووضعت يتنا أى وضعت منكسا ، تخرج رجلاه قبل رأسه . وأرضعته غيلا ، أى لبنا فاسدا ، وذلك عندما تُرضع وهى حامل . وأنتمه مئقا : أى غاضبا مغتاظا .

(٢) الملق : المغتاض الباكى والثيق : السريع إلى الشر الغضوب . مما يدل على اختلافهما بحيث لا يتفقان ، وفى النسخة المحققة . نفق : أى الذى لا يحتمل شيئا .

وَصُدِّقَتْ - : أبى إسحاق ، وجدى إبراهيم ، وعمى إسماعيل ، وأخى يوسف .

هشام وزيد بن علي :

لا يعلم الغيب إلا الله

● ودخل زيد بن علي على هشام بن عبد الملك ، فقال له هشام :
بلغنى أنك تحدث نفسك بالخلافة ، ولا تصلح لها ؛ لأنك ابن أمة ! .
فقال له : أما قولك : إني أُحدِّث نفسي بالخلافة ، فلا يعلم الغيب إلا الله .

وأما قولك : إني ابن أمة ، فإسماعيل ابن أمة ، أخرج الله من صُلبه خير البشر محمداً ﷺ ، وإسحاق ابن حرة أخرج الله من صلبه القردة والخنازير ! .

الرغبة في السرارى (١) :

أبناء الإمام يتفوقون !

● قال الأصمعى : وكان أكثر أهل المدينة يكرهون الإمام ، حتى نشأ منهم عليُّ بنُ الحسين ، والقاسم بن محمد بن أبى بكر ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، ففاقوا أهل المدينة فقها وعلماء وورعا ، فرغب الناس في السرارى .

★ ★ ★

(١) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ من لعنه الله و غضب عليه و جعل منهم القردة و الخنازير ﴾

[المائدة : ٦] .

(٢) السرارى : جمع سرّية . وهى الأمة التى يؤأنها بيتا منسوبة إلى السر بالكسر للجماع

عبد الملك وابن الحسين في جارية تزوجها :

لا عار على مسلم !

● وتزوج على بن الحسين جارية له ، وأعتقها ، فبلغ ذلك عبد الملك فكتب إليه يؤنبه ، فكتب إليه على : إن الله رفع بالإسلام الخسيسة ، وأتم به النقيصة ، وأكرم به من اللؤم ؛ فلا عار على مسلم .

وهذا رسول الله ﷺ قد تزوج أمته ، وامرأة عبده ! .

فقال عبد الملك : إن علي بن الحسين يشرف من حيث يتضيع الناس .

★ ★ ★

أقوال وتجارب :

عجبي !

● وقال بعضهم : عجبت لمن لبس القصير كيف يلبس الطويل ؟
ولمن أحفى شاربه كيف أعفاه ؟ (١) وعجبا لمن عرف الإمام كيف يقدم على الحرائر .

وقال الشاعر :

أمهات القوم أوعية

لا تشتمن امرأاً في أن تكون له أم من الروم أو سوداء عجماء
فإنما أمهات القوم أوعية مستودعات ، وللأحساب آباء (٢)

★ ★ ★

(١) أحفى شاربه حلقه .. وأعفاه : تركه .

(٢) ينسب الأبناء إلى الآباء ويفخرون بحسبهم ، أما المرأة فهي مجرد وعاء .

وقالوا :

شتان ما بينهما !

● الأمة تشتري بالعين ، وترد بالعيب ، والحرّة غُلّ (١) في عنق من صارت إليه !! .

الهجناء (٢)

للعرب والفرس :

أسماء ومسميات

العرب تسمى العجمي إذا أسلم : المسلماني ؛ ومنه يقال : مُسَلِّمة السَّواد .

والهجين عندهم : الذي أبوه عري ، وأمه أعجمية .

والمذَّرَع : الذي أمه عربية ، وأبوه أعجمي .

وقال الفرزدق :

إذا باهليّ أنجبت حنظليّة له ولداً منها ؛ فذاك المذَّرَعُ

والعجميّ : النَّصراني ونحوه ، وإن كان فصيحاً .

والأعجمي : الأخرس اللسان ، وإن كان مسلماً .

(١) الغلّ : القيد . والجمع أغلال .

(٢) الهجناء : جمع هجين وهو العري الذي ولد من أمه . أو من أبوه خير من أمه - القاموس

المحيط .

ومنه قيل : زياد الأعجم ؛ وكان في لسانه لُكنة .

والفرس تسمى الهجين : دوشن ، والعبد : واش ونجاش ، ومن تزوج أمة : نفاش ، وهو الذى يكون العبد دونه ، وسمى أيضا : بوركان .
والعرب تسمى العبد الذى لا يخدم إلا مادامت عليه عين مولاه : عبد العين .

وكان العرب في الجاهلية لا تورث الهجين .

وكانت الفرس تطرح الهجين ولا تعده (١) ، ولو وجدوا أمةً على رأس ثلاثين أما ، ما أفلح ولدها عندهم ولا كان آزاد ، ولا كان بيده مزاد .
[والآزاد عندهم : الحر ، والمزاد : الریحان] .

★ ★ ★

وقال ابن الزبير لعبد الرحمن بن أم الحكم :

إذا قيل له من أبوك ؟ قال : أمى الفرس !

تبغلت لما أن أتيت بلادهم وفى أرضنا أنت الهمامُ القلمسُ (٢)
ألست ببغل أمُّه عريضة أبوه حمار أدبر الظهر يُنخسُ (٣)
وشبه المدرع بالبغل ؛ إذا قيل له من أبوك ؟ قال : أمى الفرس ! .

(١) أى طرحه من حسابها ، ولا تعده ممن يتكاثر بهم ويتفاخر .

(٢) القلمس : السيد العظيم . وتبغل : صار بغلا .

(٣) ينخس بالمنخاس لينشط ، والكريم من الحيوانات من ينشط بنفسه .

مما احتج به الهجناء :

سيف أبيك زوجه !

● وما احتج به الهجناء : أن النبي ﷺ زوج ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب من المقداد بن الأسود .

وزوج خالدة بنت أبي لهب من عثمان بن أبي العاص الثقفي ؛ وبذلك احتج عبد الله بن جعفر ، إذ زوج ابنته زينب من الحجاج بن يوسف ، فعيروه الوليد بن عبد الملك ، فقال عبد الله بن جعفر : سيف أبيك زوجه ! والله ما فديت بها إلا خيط رقبتى .

وأخرى أن النبي ﷺ : قد زوج ضباعة من المقداد ، وخالدة من عثمان بن أبي العاص ، ففيه قدوة وأسوة .

● وزوج أبو سفيان أم الحكم بالطائف في ثقيف .

● وقال لهذم الكاتب في عبد الله بن الأهم ، وسأله فحرمه (١) :

وما بنو الأهم إلا كالرحم لا شيء إلا أنهم لحم ودم
جاءت به جذام من أرض العجم أهتم سلاح (٢) على ظهر القدم
مقابل في اللؤم من خال وعم

بنو أمية وأولاد الإمام (٣) :

● وكانت بنو أمية لا تستخلف بنى الإمام ، وقالوا : لا تصلح لهم

العرب .

(١) أى لم يعطه .

(٢) السلاح من الطائر كالنوط من الإنسان .

(٣) الإمام : جمع أمة ، وهى الجارية المستركة .

لايستويان !!

● زياد بن يحيى قال :

حدثنا جبلة بن عبد الملك : قالوا : سابق عبد الملك بن سليمان ومسلمة ، فسبق سليمان مسلمة ، فقال عبد الملك :

ألم أنهكم أن تحملوا هجاءكم على خيلكم يوم الرهان فتدرك (١)؟! وما يستوى المرءان هذا ابن حرة وهذا ابن أخرى ظهرها مُتشرك وتضعف عضداه ، ويقصر سوطه وتقصر رجلاه ؛ فلا يتحرك وأدركه خالاته فتزعنه ألا إن عرق السوء لا بدَّ يُدرك

ثم أقبل عبد الملك على مصقلة بن هبيرة الشيباني ، فقال :

أتدري من يقول هذا ؟ قال : لا أدري . قال : يقوله أخوك الشنّي .

قال مسلمة : ياأمير المؤمنين ، ما هكذا قال حاتم الطائي . قال عبد الملك : وماذا قال حاتم الطائي ؟ فقال مسلمة : قال حاتم :

وما أنكحونا طائعين بناتهم ولكن خطبناها بأسيا فنا قسرا
فما زادها فينا السباء مذلة ولا كلفت خبزاً ، ولا طبخت قدراً
ولكن خلطناها بخير نسائنا فجات بهم بيضاً وجوههم زهراً
وكائن ترى فينا من ابن سبية إذا لقي الأبطال يطعنهم شزراً
ويأخذ رايات الطعان بكفه فيوردها بيضاً ، ويصدرها حمراً (٢)
أغر إذا اغبر اللثام رأيته إذا ما سرى ليل الدجى قمراً بدرأ (٣)

(١) يلحق بها الأعداء ويدركونها لأن راكبيها ليسوا فرساناً ، فالفرسية وقف على العرب الخُص .

(٢) يوردها ويصدرها .. كانت العرب تورّد الإبل على الماء وتسوقها لتشرب ، ثم يصدرونها عائدين بها بعد الورود . ويقصد أنه يحمل الرايات ويقبل بها على المعارك ثم يعود بها ظافرة بعد معارك منتصرة .

(٣) أغر : أبيض يتراءى النور من جهته إذا ثار غبار المعركة فغطى لثامه ، وكأنما هو القمر في ظلام الليل .

فقال عبد الملك كالمستحي :
وما شُرُّ الثلاثة أمَّ عمرو بصاحبك الذي لاتصبحينا (١)

★ ★ ★

بنو أمية في أولاد الأمهات :

لماذا ؟!

● قال الأصمعيّ : كانت بنو أمية لاتبايع لبنى أمهات الأولاد ؛ فكان الناس يرون أن ذلك لاستهانة بهم ، ولم يكن لذلك .

ولكن لما كانوا يرون أن زوال ملكهم على يد ابن أم ولد ؛ فلما ولي الناقص ظن الناس أنه الذي يذهب ملك بنى أمية على يديه - وكانت أمه بنت يزدجرد بن كسرى - فلم يلبث إلا سبعة أشهر حتى مات ؛ ووُثِب مكانه مروان بن محمد - وأمه كردية - فكانت الرواية عليه .

ولم يكن لعبد الملك ابن أسدُ رأيا ، ولا أذكى عقلا ، ولا أشجع قلبا ، ولا أسمع نفسا ، ولا أسخى كفا من مسلمة ؛ وإنما تركوه لهذا المعنى .

(١) من معلقة عمرو بن كلثوم وقبله :

صَدَّذْتُ الكَأْسَ عَنَّا أم عمرو وكان الكَأْسُ مجراها اليمين

وبعضهم يروى هذين البيتين لعمر بن أخت جذيمة الأبرش ، وذلك لما وجدته مالك وعقيل في البرية وكانا يشربان ، وأم عمرو هذه المذكورة تصد عنه الكأس ، فلما قال هذا الشعر سقياه ، وحمله إلى خاله جذيمة . ولهما حديث . وهذا البيت من شواهد سيبويه على أن اليمين نصب على الظرفية . كما جاء في شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي .

شيء عن يحيى بن أبي حفصة :

كان يهوديا فأسلم .

● وكان يحيى بن أبي حفصة أخو مروان بن أبي حفصة يهوديا ، أسلم على يد عثمان بن عفان فكثر ماله ، فتزوج خولة بنت مقاتل بن قيس بن عاصم ، ونقدها خمسين ألفا .

ويقول فيه القلاخ :

نبتُ خولة قالت حين أنكحها :
لطلما كنتُ - منك العارَ - أنتظر
أنكحت عبدين ترجو فضل مالهما
في فيك - ممارجوت - التراب والحجر
لله در جيادٍ أنت سائسها
برذنتها (١) وبها التحجيل والغرر

فقال مقاتل يرد عليه :

وما تركت خمسون ألفاً لقائل
عليك - فلا تحفل - مقالة لائم
فإن قلتم زوجت مولى فقد مضت
به سنة قبلى وحبُ الدراهم
ويقال : إن غيره قال ذلك .

★ ★ ★

(١) حولتها إلى براذين بعد أن كانت جيادا كريمة محجلة تبدو غرتها . والبرذون الدابة . والبرذون التركي من الخيل وهو خلاف العراب - المصباح المنير .

الأدعاء

زياد بن عبيد :

أخاف هذا الجالس على المنبر !!

● أول دَعِيٍّ (١) كان في الإسلام واشتهر زياد بن عبيد ، دعى معاوية ، وكان من قصته أنه : وجهه بعض عمال عمر بن الخطاب رضى الله عنه على العراق إلى عمر بفتح كان ، فلما قدم وأخبر عمر بالفتح في أحسن بيان وأفصح لسان ، قال له عمر : أتقدر على مثل هذا الكلام في جماعة الناس على المنبر ؟ . قال : نعم ، وعلى أحسن منه ، وأنا لك أهيب ! .

فأمر عمر بالصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، ثم قال لزياد : قم فاخطب وقص على الناس ما فتح الله على إخوانهم المسلمين . ففعل وأحسن وجود ، وعند أصل المنبر علي بن أبى طالب ، وأبو سفيان بن حرب . فقال أبو سفيان لعلي : أيعجبك ما سمعت من هذا الفتى ؟ قال : نعم . قال : أما إني ابن عمك ! قال : فكيف ذلك ؟ قال : أنا قدفته في رحم أمه سمية ! قال : فما يمنعك أن تدعيه ؟ قال : أخاف هذا الجالس على المنبر - يعنى عمر - أن يفسد على إهائي . فلما وُلِّي معاوية استلحقه بهذا الحديث ، وأقام له شهوداً عليه ؛ فلما شهد الشهود ، قام زياد على أعقابهم خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : هذا أمر لم أشهد أوّله ؛ ولا علم لى بآخره ؛ وقد قال أمير المؤمنين ما بلغكم ، وشهد الشهود بما قد سمعتم ، والحمد لله الذى رفع منا ما وضع الناس ، وحفظ ما ضيعوا ؛ فأما عبيد ، فإنما هو والد مبرور ، أو ربيب مشكور . ثم جلس .

(١) الدعيّ : من ينسب إلى غير أبيه ، وكان العرب يتبنون من يرغبون في إلحاقهم بنسبهم ، فجاء القرآن ، وأبطل التبنى ، وقال : ﴿ ادعوهم لأبائهم ﴾ .

فقال فيه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

ألا أبلغ معاوية بن حرب فقد ضاقت بما يأتي اليديان
أتغضب أن يُقال : أبوك عَفٌّ وترضى أن يقال : أبوك زان ؟
وأشهد أن قُربك من زيادٍ كقُرب الفيل من وَلَدِ الأتانِ (١)

وقال زياد :

ما هجيتُ بيت قط أشد على من قول يزيد بن مفرغ الحميري :
فكر ففى ذاك إن فكرت معتبرُ هل نلتَ مكراً إلا بتأمير ؟
عاشت سمية ما عاشت وما علمت أن ابنها من قريش في الجماهير
سبحان من ملك عباد بقدرته لا يدفع الناس محتوم المقادير
وكان ولد سمية : زياداً ، وأبا بكرة ، ونافعاً ، فكان زياد ينسب في قريش ،
وأبو بكرة في العرب ، ونافع في الموالي ؛ فقال فيهم يزيد بن مفرغ :

إن زياداً ونافعاً وأبا بكرة عندى من أعجب العجب
إن رجالاً ثلاثة خُلِقُوا من رحم أنثى مخالفة النسب
ذا قُرشي فيما يقول ، وذا مولى ، وهذا ابن أمه عرى !

★ ★ ★

● وقال بعض العراقيين في أبى مسهر الكاتب :

حمارٌ في الكتابة يدعيها كدعوى آل حرب في زياد
فدع عنك الكتابة لست منها ولو غرقت ثوبك بالمداد (٢)

★ ★ ★

(١) الأتان : أنثى الحمار .

(٢) المداد : ما يكتب به وقد جاء في الكتاب العزيز : ﴿ قل لو كان البحر مدداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً ﴾ .

● وقال آخر في دَعَى :
لعيّنْ يورثُ الأبناءَ لعناً ويلطُخُ كل ذى نسبٍ صحيح

★ ★ ★

يا حَرَسَى خذ هذا الحجر !..

● عبد الله بن حجاج :
ولما طالت خصومة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، ونصر بن حجاج عند معاوية في عبد الله بن حجاج - مولى خالد بن الوليد - أمر معاوية حاجبه أن يؤخر أمرهما حتى يحتفل مجلسه ، فجلس معاوية وقد تلفع بمطرف خز أخضر ، وأمر بحجر فأدنى منه ، وألقى عليه طرف المطرف ، ثم أذن لهما وقد احتفل المجلس ، فقال نصر بن حجاج : أخى وابن أئى ، عهد إلى أنه منه .
وقال عبد الرحمن : مولاى وابن عبد أئى وأمنه ، ولد على فراشه . فقال معاوية : يا حَرَسَى ، خذ هذا الحجر - وكشف عنه - فادفعه إلى نصر بن حجاج . وقال : يا نصر ، هذا مالك في حكم رسول الله ﷺ ؛ فإنه قال : « الولد للفراش ، وللعاهر الحجر » فقال نصر : أفلا أجريت هذا الحكم في زياد يا أمير المؤمنين ؟ قال : ذاك حكم معاوية ، وهذا حكم رسول الله ﷺ .

● وليس فى الأرض أحسن من الأدعياء لتستحق بذلك العربية .

قال الشاعر :

دَعَى واحدٌ أجدى عَلَيْهِم من ألقى عالم مثل ابن دَاب
ككلب السُّوء يَحرسُ جَانِيه وليس عدوُّه غير الكلاب

(١) ينسب إلى من ولد على فراشه ، أما العاهرة فلها الحجر والرجم .

من طباع العرب

للأصمعي في دعي :

● وقال الأصمعي : استمشتى رجل من الأدعياء ، فدخل عليه رجل من أصحابه ، فوجد عنده شيحا وقيصوما ، فقال له : ما هذا ؟ فقال : - ورفع صوته - الطبيعة تتوق إليه ! يريد أن طبيعته من طباع العرب ؛ فقال فيه الشاعر :

يَشْمُ الشَّيْحَ والْقَيْصُومَ مَ كَى يَسْتَوْجِبُ التَّسْبَا (١)

وليس ضميره في الصد ر إلا التين والعنبا

أبو سعيد الخزومي :

دعي على دعي

● وعن إسماعيل بن أحمد قال : رأيت على أبي سعيد الشاعر الخزومي كردوانيا مصبوغا بتوريد ، فقلت : أبا سعيد ، هذا خز ؟ قال : لا ، ولكنه دعي على دعي ، وكان أبو سعيد دعيا في بني مخزوم ، وفيه قال الشاعر :

متى تاه (٢) على الناس شريف يا أبا سعد

فته ما شئت إذا كنت بلا أب ولا جد

وإذا حظك في النسب — بة بين الحر والعبد

وإذا فارقك الفحش ففى أمن من الحد

(١) الشيخ والقيصوم والعرار : من النباتات التي كان العرب يتوق إلى شحمها . ويتمتع بجمال منظرها حين تطل عليه بمرآها الجميل فيما حوله من صحراء ، وهو يحاكمهم ليقال هو منهم .
(٢) تاه : اختال ، وفخر ، وزها .

تزوج ابن عبد العزيز في عبد القيس :

تعيون أمرا ظاهراً في بناتكم !!

● وعن أحمد بن عبد العزيز قال : نزلت في دار رجل من بني عبد القيس بالبحرين ، فقال لي : بلغني أنك خاطب ؟ قلت نعم . قال : فأنا أزوجهك .

قلت له : إني مؤلى . قال : اسكت وأنا أفعل ! فقال أبو بجير فيهم :

أمن قلة صرتم إلى أن قبلتم	دعاوة زراع وآخر تاجر
وأصهَبَ رومي ، وأسودَ فاحمٍ	وأبيض جعيد من سراة الأحامير
شكولهم شتى وكلّ نسيبكم	لقد جثتم في الناس إحدى المناكر
متي قال : إني منكم فمصدق	وإن كان زنجياً غليظ المشافر (١)
أكلهم وافي النساء جدوده	وكلهم أوفى بصدق المعاذر ؟
وكلهم قد كان في أولية	له نسبة معروفة في العشائر
على علمكم أن سوف ينكح فيكم	فجدعا ورغما للأنوف الصواغر (٢)
فهلا أيتم عفة وتكرما	وهلا وجلتم من مقالة شاعر ؟ (٣)
تعيون أمرا ظاهرا في بناتكم	وفخركم قد جار كل مفاخر
متى شاء منكم مغرم كان جده	عمارة عبس خير تلك العمائر
وحصن بن بدر أو زراة دارم	وزبان زبان الرئيس ابن جابر
فقد صرت لأدري وإن كنت ناسياً	لعل نجاراً من هلال بن عامر
وعلّ رجال الترك من آل مذحج	وعلّ تميماً عصية من يُحابر
وعلّ رجال العجم من آل عالج	وعلّ البوادي جُدلت بالخواضر
زعمتم بأن الهند أولاد خندف	وبينكم قرى وبين البرابر

(١) المشافر والأشفار الشفتان .

(٢) جدعا : قطعاً وفي المثل : « لأمر ما جدع قصير أنفه » !

(٣) وجلتم : خفتم .

وذئلم من نسل ابن ضبّة باسيل وبرجانّ من أولاد عمرو بن عامر
بنو الأصفر الأملاك أكرم منكم وأولى بقرنانا ملوك الأكاسر (١)
أأطمع في صهرى دعيا مجاهرا ولم نر شراً فى دعى مُجاهر
ويشتم لؤما عرضه وعشيره ويمدح جهلا طاهراً وابن طاهر

★ ★ ★

● وقال زرارة بن ثروان أحد بنى عامر بن ربيعة بن عامر :

اختلط الأسافل بالأعالى !

قد اختلط الأسافل بالأعالى وباح الناس واختلط النجار (٢)
وصار العبد مثل أى قبيس وسبق مع الملهجة (٣) العشار

جعفر بن سليمان وولده أحمد :

ثم تريد أن ينجبن !!

● وذكر جعفر بن سليمان بن على يوما ولده ، وأنهم ليسوا كما يحب ، فقال
له ولده أحمد بن جعفر : عمدت إلى فاسقات المدينة ومكة وإماء الحجاز ،
فأوعيت فيهم نطفك ، ثم تريد أن ينجبن ؟! ألا فعلت فى ولدك ما فعل أبوك
فيك حين اختار لك عقيلة قومها ؟! .

★ ★ ★

(١) الأكاسر : ملوك الفرس وواحدھا : كسرى .

(٢) النجار : الأصل .

(٣) الملهجة : المهجين .

الأشعث وعلى :

من هذه يا أمير المؤمنين !؟

● ودخل الأشعث بن قيس على عليّ بن أبي طالب ، فوجد بين يديه صبية تدرج ، فقال : من هذه يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذه زينب بنت أمير المؤمنين . قال : زوجنيها يا أمير المؤمنين ! قال : اغرب (١) بفيك الكيثكث ولك الأثلث (٢) ! أغرك ابن أبي قحافة حين زوجك أم فروة ؟ .

إنها لم تكن من الفواطم ولا العواتك من سليم . فقال : قد زوجتم أخمل مني حسبا ، وأوضع مني نسبا : المقداد بن عمرو ، وإن شئت فالمقداد بن الأسود .

قال علي : ذلك رسول الله ﷺ فعله ، وهو أعلم بما فعل ؛ ولئن عدت إلى مثلها لأسوءئك ! .

● وفي هذا المعنى قال الكميّ بن زيد :

وما وجدت بنات بنى نزار حلائل أسودين وأحمرينا
وما حملوا الحمير على عتاق (٣) مطهمة فيلفوا مبغلينا
بنى الأعمام أنكحنا الأيامي وبالأباء سميننا البنيننا

الهيثم بن عدى :

إذا نسبت عديا .. !؟

● عن العتبي قال : وكان الهيثم بن عدى فيما زعموا دعياً ، فقال فيه الشاعر :

(١) اغرب : ابعد عنى . ورجل كَثَّ اللحية وكثيها . كشف شعر لحيته .
(٢) الأثلث : ويكسر ، التراب والحجارة ، أو فتاتها . كناية عن رده رداً قبيحاً فليس له عنده إلا أن يثو في وجهه التراب .
(٣) العتاق : كرام الخيل .

الهيثم بن عدى من تنقله في كل يوم له رجلٌ على حسب
 إذا اجتدى^(١) معشراً من فضل نسبهم فلم ينيلوه عداهم إلى نسب
 فما يزال له حلٌّ ومرتحل إلى النصارى وأحياناً إلى العرب
 إذا نسبت عديا في بنى ثعل فقدم الدال قبل العين في النسب^(٢)

★ ★ ★

● وقال بشار القصيلي :

عربى من زجاج

إن عمراً ، فاعرفوه عربى من زجاج
 مظلم النسبة لايـ رف إلا بالسراج

● وقال فيه :

عربى من قوارير

ارفق بنسبة عمر، حين تنسبه فإنه عربى من قوارير
 مازال في كير حداد يردده حتى بدا عربيا مظلم النور

● وقال أيضا في أدعياء :

زائف الحسب

● هم قعدوا فانتقوا لهم حسبا يدخل بعد العشاء في العرب
 والناس قد أصبحوا صيارفةً أعلم شئٍ بزائف الحسب

(١) اجتدى : سأل . (٢) إذا قدمنا الدال قبل العين في (عدى) يصبح (دعياً) .

● وقال أبو نُواس في أشجع بن عمرو :

قل لمن يدعى سُلَيْمى سفاها لست منها ولا قلامة ظفر (١)

إنما أنت من سليمى كواو ألحقت في الهجاء ظلما بعمرو

● وقال فيه :

أيا متحيراً فيه لمن يتعجب العجب
لأسماءٍ تَعْلَمُهُنَّ أشجع حين ينتسب
ولأحمد بن الحارث الخراز في حبيب الطائي :

لو أنك إذا جعلت أباك أوساً جعلت الجد حارثة بن لأم
وسميت التى ولدتك سَعْدَى فكنت مقابلاً بين الكرام

● وله فيه :

أنت عندى عربى ليس فى ذاك كلام
شعر فخذيك وساقى لك خُزَامى وُثْمَام (١)
وضلوع الصدر من جسمك نبع وبشام (٢)
وقذى عينيك صمغ ونواصيك ثَغَام (٣)
لو تحركت كذا لا تُجَفَلت منك نعام

★ ★ ★

(١) قُلامة ظفر ، ما يقلم من الأظافر وذلك كناية عن الشيء الصغير الحقير . والمراد أنه ليس بها أدنى اتصال .

(٢) وواو عمرو ليست من بنية الكلمة ، وإنما أخذوها من داود ، ولذا نراه بواو واحدة كما يقال .

(٣) من نبات الصحراء .

(٤) النبع : شجر للقيس وللسهام ، والبشام شجر عطر الرائحة ورقه يسود الشعر ويُستاك بقُصْبِهِ .

(٥) والثغام نبات أبيض ، وأثغم الرأس صار كاللثغام بياضاً .